مَدخل إلى الألفاظ الإسبانية المأخوذة من العربيّة

للدكتور محمود مكي *

لم تنقطع الصلات أبداً بين شبه جزيرة إيبريا (إسبانيا والبرتغال الآن) وبين الشعوب الأفريقية والأسيوية ، فقد تعرضت هذه البلاد لهجرات كثيرة قادمة من بلاد الشرق ومن شمال أفريقية على نحو مستمر منذ فجر التاريخ. ولعل أهم هذه الهجرات فى العصور القديمة هى تلك التى مثلها التوسع الفينيقى فى نحو سنة ١٠٠٠ (ق . م .) ، فقد امتد هذا التوسع من سواحل بلاد الشام على طول الشمال الإفريقى حيث أقام الفينيقيون العديد من المراكز التجارية ، ثم واصلوا امتدادهم إلى سواحل إسبانيا الجنوبية ، فأنشأوا مدناً كان لها إزهار عظيم استمر حتى اليوم عبر الحضارات المتعاقبة . على أن التأثير اللغوى الفينيقى لايكاد يلحظ اليوم إلا فى أسماء بعض المدن التى قاموا بإنشائها ، ونذكر من بينها قادس Càdiz (وكان اسمها القديم Gadir) – من الأصل السامى ق د ر لأن معناها المدينة القادرة أو القوية المحصنة ») ومدينة مالقة Málaga (وكان اسمها Malaca – من الأصل السامى م ل ك لأنها كانت تعنى « المدينة الملكية » ، ولهذا فقد ترجم الرومان هذا الاسم ترجمة حرفية حينما أطلقوا عليها لفظ Reggio المشتق من Rex أى الملك) .

واستمرت حضارة الفينيقين على أرض شبه الجزيرة أكثر من أربعة قرون ، فلما ضعف أمرهم وفدت على شبه الجزيرة موجة قادمة من بلاد الشرق أيضاً ، ولكنها أتت من بلاد الإغريق . ثم عادت تطرق أبواب البلاد هجرة جديدة ذات أصول سامية وإن كان منطلقها من شمال أفريقيا ، ونعنى بها القرطاجيين القادمين من إفريقية (تونس) ، والقرطاجيون هم من سلالة الفينيقيين ، وقد اعتبروا أنفسهم

---

* ألقى فى الجلسة الثانية عشرة يوم الأحد ٤ من شعبان سنة ١٤٠٩ هـ الموافق ١٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٨٩ م .

ورثة هؤلاء منذ سقطت حاضرة دولتهم صور في أيدى الأشوريين ، واستطاعوا الاستيلاء على جزيرة سردانية ثم على جزر البليار منذ أواخر القرن السادس (ق . م .) ومنها نفذوا إلى أرض شبه الجزيرة ومدوا سلطانهم على شرقى البلاد وجنوبيها ، وظلوا يحكمون هذه المناطق حتى نهاية ما يعرف باسم « الحروب البونية » فى منتصف القرن الثانى الميلادى ، وهذه هى المرحلة الثانية من مراحل الوجود السامى الإفريقى فى شبه الجزيرة . على أن القرطاجيين لم يخلفوا فى لغة البلاد آثاراً واضحة ، إذ أن الرومان الذين سيطروا على البلاد بعد ذلك محوا آثارهم محوا ، واستطاعوا أن ينشروا فيها لغتهم اللاتينية منذ احتلالهم لها حتى انحلال امبراطوريتهم فى أوائل القرن الخامس الميلادى. أما القوطيون الذين كانوا ينحدرون من أصول جرمانية وسيطروا على شبه الجزيرة حتى أوائل القرن الثامن فإنهم بدورهم لم يتركوا فى لغة رعاياهم إلا آثاراً قليلة جداً .

وأخيراً دخل العرب أرض شبه الجزيرة رافعين راية الإسلام فى سنة ٩٢ هـ (٧١١م) . واستمر وجودهم فى البلاد ممثلا فى كيان سياسى حتى سنة ٨٩٧ هـ . (١٤٩٢ م .) . ونلاحظ أن هذا « الوجود » لم ينقطع باستيلاء الملكين الكاثوليكيين على دولة بنى الأحمر فى غرناطة آخر معاقل الإسلام فى البلاد ، بل ظل الشعب الأندلسى المسلم الذى خضع للسلطة المسيحية يعيش فى كل أنحاء شبه الجزيرة متخذاً فى البداية اسم « المدجنين Mudéjares » ثم اسم « الموريسكيين Moriscos » إلى أن صدرت مراسيم طرد هؤلاء المسلمين بين سنتى ١٦٠٩ و ١٦١٤ . ومع هذه المراسيم قامت محاكم التحقيق La Inquisición التى أنشأتها السلطات الكنسية بأبشع أعمالها الهادفة إلى محو كل أثر للثقافة الإسلامية واللغة العربية . ففضلا عن التعذيب والاضطهاد لكل من يرتاب فى كونه محتفظاً بعقيدته كانت هناك قوانين تحرم استعمال العربية وتنص على إحراق ما ألف بها من كتب . ومع ذلك فقد كانت اللغة العربية قد نفذت إلى صميم كيان اللغة الإسبانية على طول القرون السابقة ، وأصبح كثير من الكلمات والتعابير العربية جزءاً من تراث الإسبانية حتى اليوم .

ويختلف العلماء الذين بحثوا هذا الموضوع فى نسبة الكلمات العربية إلى مجموع مداخل المعجم الإسبانى ، فمنهم المقلل والمكثر ، إذ أن هناك من يزعم أن هذه النسبة لاتتجاوز الـ ٥ ٪ وهناك من يرتفع بها إلى نحو ٢٠ ٪ وترجع أسباب هذا الاختلاف إلى عدة عوامل :

١ — هناك من يقتصر على اللفظ الإسبانى المأخوذ من أصل عربى بغير أن يلحق به مشتقاته المختلفة وهناك من يضيف هذه المشتقات إلى الأصل .

٢ — هناك من يدرج جميع الألفاظ حتى ما قل استعماله أو سقط ، هناك من يقتصر على المستعمل الشائع .

٣ – هناك ألفاظ كثيرة مختلف فى أصولها الاشتقاقية ، إذ أن الرأى الأخير لم يستقر حول تلك الأصول .

٤ — من اللغويين من يستبعد الألفاظ التى يعد أصولها إغريقية أوفارسية أو تركية أو بربرية ، ومنهم من يرى أن هذه الألفاظ إنما دخلت عن طريق العربية ، فينبغى أن تدرج فى الألفاظ العربية الأصول .

والذى يعترف به الجميع على كل حال هو أن اللغة العربية هى التى تلى اللاتينية فى إمدادها اللغة الإسبانية بثروتها من الألفاظ ؛ ذلك أن الذى أخذته هذه اللغة من اللغات القديمة المختلفة أو اللغات الحديثة لايقاس فى مجموعه إلى ما أخذته من العربية . ويعد ذلك أمراً طبيعياً إذا ذكرنا أن العرب الذين دخلوا إسبانيا لم يلبثوا أن شيدوا بنيا آ حضارياً استمدوا أصوله من مصادر شرقية إسلامية عربية وكان شيئاً جديداً يبهر أنظار الناس فى القارة الأوربية كلها . وكان من أول من تنبه لهذه الحقيقة فى أوربا القس اليسوعى الإسبانى خوان أندريس فى كتابه عن أصول الآداب الأوربية (المنشور أولا بالإيطالية بين سنتى ١٧٨٢ و ١٧٩٨ ثم بالإسبانية بين ١٧٨٤ و ١٨٠٦) حينما قال إن شعوب أوربا المسيحية رأت فى الأندلس شعباً ذا حضارة أرقى بكثير مما لديهم ، حيث كان رجال الكنيسة فى بلاد أوربا — وهم قمة ما لديها من «ثقافة» — لايكادون يعرفون أكثر من مبادئ القراءة والكتابة والحساب على حين كان العالم العربى — بما فيه الأندلس — يحفل بالعلماء من كل نوع . (انظر خطاب المستشرق الإسبانى أنخل جونثالث بالنثيا Angel Gonzàlez Palencia فى حفل استقباله فى المجمع الملكى التاريخى ، مدريد ١٩٣١ ص ٨ – ٩) . وكان من الطبيعى أن يصبح أولئك الأوربيون تلاميذ لمسلمى إسبانيا ، وما كان ذلك ليتم إلا إذا تعلموا العربية واستخدموا ألفاظها التى أصبحت ضرورة من ضرورات الحضارة . وليس من الغريب أن يصبح مسيحيو إسبانيا هم أسبق الأوربيين إلى ذلك بحكم المعايشة الطويلة للمسلمين .

ولعل من أهم ما تتمثل فيه هذه الحقيقة ذلك اللقب الذى حمله أولئك الإسبان المسيحيون وهو « المستعربون » (Mozàrabes) ، إذ أنه يصور اصطناع هذه الطائفة لثقافة العرب ولغتهم وكل مظاهر حضارتهم . ولسنا بحاجة إلى إيراد تلك العبارة المشهورة التى قالها ألبارو القرطبى Alvaro de Córdoba أحد كبار رجال الدين المسيحى والتى يشكو فيها من أن نصارى إسبانيا قد هجروا اللاتينية وأصبحوا مغرمين بالعربية حتى إن أحدهم لم يعد قادراً على كتابة خطاب لأخيه باللاتينية على حين أنه قد يجيد الكتابة بالعربية نثراً وشعراً . وربما كان خير دليل يؤكد هذه الحقيقة هو تلك المجموعة الكبيرة من الوثائق الطليطلية التى نشرها أنخل جونثالث بالنثيا فى سنة ١٩٣٠ ، وتبلغ ١١٧٥ وثيقة كتبت كلها بالعربية

وكانت تتناول موضوعات مختلفة متعلقة بالمعاملات الجارية بين المستعربين المسيحيين بعضهم وبعض أو بينهم وبين مساكنيهم من المسلمين واليهود . وتواريخ هذه الوثائق تتراوح بين سنتى ١٠٨٣ و١٣٩١م . ومما يلفت النظر أن الملك المسيحى ألفونسو السادس Alfonso V1 قد انتزع طليطلة من أيدى المسلمين فى سنة ٤٧٨ هـ . (١٠٨٥ م .) وبهذا فقد المسلمون سلطانهم على المدينة ، ومع ذلك فقد استمر سكانها المسيحيون يستخدمون العربية فى معاملاتهم على مدى أكثر من ثلاثة قرون . وهذا وحده دليل على قوة تأثير الحضارة العربية فى هذا الشعب الذى لم يرغمه أحد على استخدام العربية ، وإنما كانت حاجته إلى هذه اللغة لشعوره بأنها أكثر وفاء بمطالبه من اللاتينية هى التى حملته على ذلك .

وقد حاول بعض الباحثين الإسبان المحدثين ممن استولت عليهم خنزوانة التعصب القومى والدينى أن يشككك فى هذه الحقيقة . وكان من أبرز هؤلاء فرانسسكو خافيير سيمونيت الذى تعرض لتلك القضية فى كتابه عن « الألفاظ الإيبيرية والرومانية المستعملة بين المستعربين » (مدريد ١٨٨٨) وذلك فى قوله : إنه إذا كان صحيحاً أن هؤلاء المستعربين قد أخذوا عن العربية « بعض الألفاظ » فإن المسلمين الأندلسيين قد أخذوا أيضاً كثيراً من الألفاظ اللاتينية عن جيرانهم ومعايشيهم من المسيحيين ، واستشهد على ذلك بما اشتملت عليه الكتب الأندلسية من إشارات إلى معرفة مسلمى الأندلس للاتينية أو اللاتينية الدارجة (لطينية أو عجمية الأندلس) (انظر مقدمة الكتاب ص ٧٩ وما بعدها) . وهذه حقيقة أكدتها المصادر الأندلسية حقاً ، ويصورها استخدام كثير من تلك الألفاظ فى ديوان الزجال ابن قزمان القرطبى وفى الخرجات العجمية للموشحات الأندلسية . غير أن هذا لاينبغى أن يعد مطعناً على الأندلسيين الذين كانوا — شأن المسلمين فى سائر الأمصار — لايحتقرون أى مصدر من مصادر المعرفة ، ولهذا فإن ثقافتهم استوعبت كل الثقافات السابقة ، كما أن لغتهم عربت محصولا وافراً من ألفاظ اللغات التى احتكوا بها . ذلك أن العربية كانت من المرونة بحيث لم تبرح أبداً آخذة معطية ، وهذه سمة من سمات اللغات الحية التى تستجيب لحاجات كل مجتمع متطور . على أن الذى أخذته العربية من اللاتينية لايقاس بما أخذته الإسبانية منها لا فى العدد ولا فى أهمية الدلالة الحضارية :

عرض تاريخى للدراسات اللغوية التى تناولت التأثير العربى فى الأسبانية :

ربما كان أول ما سجله المستعربون المسيحيون من مظاهر حاجتهم إلى اللغة العربية هو ظهور أول معجم لاتينى عربى كتبه

مؤلف مجهول ينتمى إلى تلك الطائفة خلال القرن العاشر الميلادى ، وهو المعجم الذى نشره فريدريك زايبولد فى برلين سنة ١٩٠٠ عن مخطوطة فى ليدن) :

Glossarium latino-arab icum, cdidit Ch. F. Seybold, Berolini, 1900.

وربما كان هذا هو أول معجم مشترك بين العربية وإحدى اللغات الأجنبية .

وفى القرن الثالث عشر الميلادى وضع المستشرق القطلانى الراهب رايموندو مرتين كتابه « المعجم العربى » الذى اضطلع بنشره المستشرق الإيطالى إسكيابارياللى فى فلورنسا سنة ١٨٧١ :

Raimundo Martin:Vocabuliata in arabico, ed. C. Schiaparelli, Firenze, 1871

ثم تلاه فى القرن الخامس عشر الراهب بطرس القلعى (أو بدرو دى ألكلا) Pedro de Alcalà الذى ألف فى سنة ١٥٠٥ معجمه المعروف باسم Vocabulista arauigo وهو معجم على جانب كبير من الأهمية ، إذ أنه يعد وثيقة تسجل لنا اللهجة العربية الغرناطية فى آخر عصور الإسلام فى الأندلس ، فضلا عن كونه يمثل اللغة القشتالية القديمة وما أخذته عن العربية . وقد أعيد نشر هذا الكتاب فى جوتنجن سنة ١٨٨٣ بعناية المستشرق الإنجليزى وليم رايت :

William Wright : Petri Hispani di lingua arabica, libri duo P.de Lagardi, Gottingae, 1883.

ولدينا من الآثار الإسبانية المتعلقة بموضوع الألفاظ العربية التى اقترضتها اللغة الإسبانية من العربية عدة كتب ذات أهمية بالغة .

أولها كتاب برنار دو ألديريتى حول أصل اللغة الإسبانية :

Bernardo Alderete : Del origen de la lengua castellana o romance que hoy se habla en España, 1606.

وثانيها كتاب سباستيان دى كوبارروبياس « كنز اللغة القشتالية » :

Sebastiàn de Covarrubias y Orozco : Tesoro de la lengua castellana, Madrid, 1611.

وثالثها كتاب برناردينو جونثالث . وكان راهباً درس العربية فى بلاد الشرق وأقام زمناً فى دمشق ، وكتابه هذا معجم عربى إسبانى انتهى من تأليفه فى سنة ١٧٠٩ :

Bernardino Gonzàlez : Diccionario àrabe-español

على أن هذا الكتاب لايزال مخطوطاً بعد لم يجد سبيله إلى النشر ، ويوجد أصله اليوم فى خزانة دير الإسكوريال .

وفى القرن الثامن عشر قام الراهب الفرنسسكانى فرانسسكوكانيس بنشر معجمه الإسبانى اللاتينى العربى (مدريد ١٧٨٧) ؛ وكان هذا الراهب قد قضى — مثل سابقه —

ستة عشر عاماً فى بلاد الشام وأتقن العربية فى دمشق :

Francisco Cañes : Diccionario español-latino-arábico, Madrid, 1787.

وبعد ذلك بسنوات نلتقى بشخصية خوسيه أنتونيو بانكيرى الذى كان من أجل أعماله نشره وترجمته الإسبانية لكتاب « الفلاحة » لأبى زكريا يحيى بن العوام الإشبيلى (وهو مؤلف عاش فى القرن السادس الهجرى - الثانى عشر الميلادى) .

José Antonio Banqueri:Libro de Agricultura de Ibn al-Awwâm, 2 vols., Madrid, 1802.

وهو كتاب له أهمية كبيرة من وجهة النظر اللغوية ، إذ أنه يحتوى على عدد كبير من المصطلحات والألفاظ المتعلقة بالفلاحة مما انتقل من العربية إلى الإسبانية . ولبانكيرى كذلك دراسة لاتزال مخطوطة فى المجمع التاريخى الملكى بمدريد حول تصحيح كثير من الأخطاء الشائعة بين الباحثين فى اشتقاق أسماء الأعلام الجغرافية الإسبانية ذات الأصول العربية :

Discurso sobre la arbitrariedad de la mayor parte de etimologias de nombres arábigos de pueblos, vol. X.

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر يتزايد الاهتمام بهذا الموضوع ، فنجد مجموعة طيبة من الدراسات التى يتمثل فيها التقدم العلمى الكبير الذى أحرزته الدراسات اللغوية المقارنة . نذكر من أهمها كتاب العالم الهولندى إنجلمان حول « معجم الألفاظ الإسبانية والبرتغالية المأخوذة عن العربية » (ليدن ١٨٦١) . ومن هذا الكتاب صدرت طبعة ثانية مزيدة ومنقحة فى سنة ١٨٦٩ باشتراك العالم الهولندى أيضاً راينهارت دوزى :

A. M. Reinhardt Dozy et W. H. Engelmann : Glossaire des mots espagnols et portugais derivés de l'arabe, Leyde, 1869, seconde edition.

ولعل هذا الكتاب هو خير دراسة ظهرت حتى الآن للموضوع ، وإن كانت تحتاج إلى كثير من المراجعة والتهذيب والإضافة والحذف وقد استفاد منها وأضاف إليها دوزى نفسه فى كتابه القيم « تكملة المعاجم العربية » الذى صدرت طبعته الثانية سنة ١٩٢٧ فى مجلدين :

R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes, 2 vols., Leyde, 1881; seconde éd. 1927.

وقد قام بترجمة المجلد الأول من هذه « التكملة » الباحث العراقى المغفور له الدكتور محمد سليم النعيمى ، وصدرت ترجمته فى خمسة مجلدات فى بغداد ما بين سنتى ١٩٧٨ و١٩٨٢

وبعد ذلك بسنوات قليلة أصدر المستشرق الإسبانى ليوبولدو إيجيلاث يانجواس كتابه « معجم اشتقاقى للألفاظ الإسبانية ذات الأصول الشرقية » :

Leopoldo Eguilaz y Yanguas : Glosario etimológico de las palabras españolas de origen oriental, Madrid, 1886.

وفى هذا الكتاب يحاول المؤلف من منطلق قومى ودينى شديد التعصب أن يفند آراء دوزى وإنجلمان حول ما أكده من تفوق حضارة العرب الأندلسيين على حضارة إسبانيا المسيحية ويشاطره فى هذا الرأى زميله وصديقه فرانسسكو خافيير سيمونيت الذى ألف كتابين لهما قيمة كبيرة لما حشد فيهما من معلومات ووثائق كثيرة جديدة ، وإن كانت آراؤه منبعثة من عصبية ذميمة كارهة أشد الكراهة للعرب والمسلمين . أما هذان الكتابان فهما : « معجم الألفاظ الإيبيرية واللاتينية المستخدمة بين المستعربين » .

Francisco Javier Simonet : Glosario de voces ibéricas y latinas usadas entre los mozárabes, Madrid, 1888.

ثم كتابه عن تاريخ المستعربين فى إسبانيا :

F.J. Simonet : Historia de los mozárabes de España, Madrid, 1897 - 1903.

ويسبب تلك العصبية جانب الصواب كثيراً من آراء هذين العالمين الإسبانيين .

ونشير بعد ذلك إلى دراسة العالم الإسبانى رامون منندث بيدال حول « أصول اللغة الإسبانية » الذى ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٠٦ ثم توالت طبعاته مع مراجعات وزيادات حتى الطبعة الثالثة الصادرة سنة ١٩٥٠ ، وهو وإن كان يسلم بتأثير العربية الكبير فى الإسبانية فإنه لم يسلم من شوائب ذلك التعصب الذى ميز عمل سلفيه : يانجواس وسيمونيت :

Ramôn Menéndez Pidal : Origenes del español, 3a ed., Madrid, 1950.

وفى سنة ١٩٣٢ أصدر المستشرق السويسرى أرنالد شتايجر دراسة عظيمة القيمة حول « صوتيات اللغة الأندلسية (الإسبانية العربية) ومظاهر التأثير العربى فى اللغة الإيبيرية الرومانية وفى اللغة الصقلية » :

Arnald Steiger : Contribución a la fonética del hispano árabe y de los arabismos en el iberc- románico y el siciliano, Madrid, 1932.

وهى دراسة صوتية فى المقام الأول قام بها عالم محقق واسع المعرفة مستقيم المنهج .

وقد تعددت بعد ذلك الدراسات الجزئية التى قام بها جيل جديد من علماء اللغة الأوربيين والإسبان بصفة خاصة حول ظواهر لغوية مختلفة مما يدخل فى ميدان التأثير العربى فى اللغة الإسبانية ، والملاحظ هو أن هؤلاء العلماء قد بعدوا كثيراً عن نزعات التعصب التى سادت دراسات الباحثين السابقة خلال القرن التاسع عشر وشطر من القرن العشرين. وتمثل هذه الدراسات الحديثة التى تمت خلال السنوات الثلاثين الماضية تقدما هائلا فى هذا الميدان ، لاسيما بعد أن نشرت نصوص ووثائق أندلسية كثيرة لم تكن فى متناول الباحثين السابقين . ويكفى أن نشير هنا إلى

عالم إسبانى معاصر يعد الآن – وهو لم يجاوز بعد طور الشباب – أعظم من يعملون فى الميدان اللغوى الإسبانى العربى ، ونعنى به فيديريكو كورينتى كوردوبا الذى قدم للمكتبة اللغوية عدداً هائلا من الدراسات المختلفة كان من آخرها كتابه المؤلف بالإنجليزية « دراسة تخطيطية نحوية لمجموعة اللهجات الإسبانية العربية » :

Federico Corriente Côrdoba : A Grammatical Sketch of the Spanish Arabic Dialect Bundle, Madrid, 1977.

وقد استطاع هذا المؤلف فى عديد من أبحاثه ومقالاته أن يستدرك أشياء كثيرة على المعجم الاشتقاقى الذى أصدره المجمع الملكى للغة الإسبانية فيما يتعلق بالأصول العربية لعدد من الألفاظ الإسبانية .

ملاحظات حول الألفاظ الاسبانية ذات الأصول العربيـة

١ – فى المجالات الدلالية :

لايكاد يخلو مجال دلالى من التأثير الواضح للغة العربية . وسنشير هنا فى إيجاز إلى بعض هذه المجالات التى يبرز فيها هذا التأثير ؛ :

فى مجال الحروب والمعارك وأدوات الحروب :

الصائفة aceifa (الحملة الصيفية التى كان المسلمون يجردونها على الإمارات المسيحية المجاورة) ، الغارة algara ؛ الدليل adalid (الذى يرافق الحملات ليكون دليلا للجيش على آمن الدروب والمسالك) ؛ الطلائع atalaya (مقدمة الجيش) ؛ ساقة zaga (مؤخرة الجيش) ؛ الخنجر alfanje ؛ الدرقة adarga ؛ الحعبة aljaba (كنانة السهام) ؛ المغفر almôfar (الخوذة التى تحمى رأس المحارب) ؛ القصبة alcazaba (أكثر أجزاء المدينة أو القلعة حصانة) ؛ القلعة alcalà ؛ الدرب adarve (من معانيه الشعب فى الجبل ، والساتر الذى يحتمى به رماة السهام من أعلى القلعة) ؛ الرباط rebato (المواقع المحصنة التى يقيم فيها المجاهدون للعبادة وقتال الأعداء فى الوقت نفسه) ؛ الطنبور atambor (الطبل الكبير الذى يستخدمه الجيش فى زحفه) ؛ الطبـل atabal ؛ النفـير añafil ؛ البوق albogue : الفارس alférez ؛ زناتى jinete (الفارس المجيد لفنون الفروسية تشبيهاً له بفرسان زناتة : القبيلة البربرية المشهورة) ؛ الشكات acicate (المهماز الذى يؤخز به الفرس لحمله على الإسراع) ؛ الفـرس alfaraz ؛ الزاملة acémila (البغل أو الدابة التى تحمل أثقال المحاربين أو أزوادهم) ؛ جهاز jaéz (ما يوضع على أعناق الخيل وظهورها من حلية وزينة) ؛ البرذعة albarda ؛ شكيمة jàquima (الحديدة التى تجعل فى حنك الفرس) ؛ الشفر ataharre (السير الذى فى مؤخر السرج ويشد تحت ذنب الدابة) .

فى مجال الفلاحة والزراعة :

كان مسلمو الأندلس على جانب عظيم من المهارة والخبرة بكل ما يتصل بالنشاط الزراعى من رى وفلاحة واستنبات لأنواع مولدة من الغروس والثمار ، وتشهد بذلك الألفاظ المتعلقة بالمياه والرى مما دخل إلى الإسبانية مثل : الساقية acequia ؛ الجب algibe (البئر) ؛ البركة alberca ، البحيرة albufera ؛ السد azud ؛ ناعورة noria ؛ القادوس arcaduz ؛ والألفاظ الخاصة بالمجتمعات الزراعية والريف مثل القرية alquería ؛ الضيعة aldea ؛ المنية almunia (البستان أو المزرعة) ؛ المرج almarcha ؛ البقـاع vega (المواضع ذات الماء والشجر) ؛ والألفاظ المتعلقة بالخضراوات والبقول والثمار مثل : اللوبيا alubia ؛ الخرشوف alcachofa ، السلق acelga ؛ الحلبة alholva ؛ الزعفران azafrán ؛ الإسفنارية zanahoria (الجزر) ؛ باذنجان berenjena ؛ الخروب algarroba ؛ الحلجـلان ajonjolí (السمسم) ؛ الزيتون aceituna ؛ الزبيب acebibe ؛ البرقوق albaricoque ؛ الدراقن durazno (الخـوخ) ، المرساك albérchigo (نوع من الخوخ) ؛ zafari سفرى (نوع من الرمان ينسب إلى مدخله فى الأندلس : سفر بن عبيد الكلابى) ؛ الفقوس alfícoz ؛ الفستق alfóstigo ؛ الحنّاء alheña ؛ الترمس altramuz ؛ الرز arroz ؛ زنجبيل gengibre ؛ القطن algodón ؛ والألفاظ الخاصة بالأزهار مثل الريحان arrayán ؛ الزهر azahar (وتطلق خاصة على أزهار البرتقال) الدفلى adelfa ؛ السوسن azucena » ؛ الخيرى alheli ؛ ياسمين jazmín ؛ الخـزامى alhucema ، الحبق albahaca وما يتعلق بالشجر وأنواع النبات مثل الأرز alerce ؛ والزنبوج acebuche (وهو الزيتون البرى) ؛ الكافور alcánfor

فى مجال العمل والصناعة والتجارة :

طريحة tarea ؛ طراز tiraz ؛ الترصيع ataraceа ؛ التوشية ataujía ؛ التوريق ataurique ؛ دار الصناعة atarazana ، الخيـاط alfayate ؛ رقم recamar ؛ الفخار alfarero ؛ البناء albañil ؛ الجوهر aljofar الأقراط arracadas ؛ عظم الفيل marfil (العاج) ؛ بركان barragán (نوع من الصوف لاينفذ منه الماء) ؛ سوق zoco ؛ الأسعار arancel : تعريفة tarifa ؛ الديوان aduana (مصلحة الجمارك) ؛ المخزن almacén (المتجر) ؛ الكراء alquiler ؛ المناداة almoneda (يقصد به البيع بالمزاد العلنى) ؛ ركوبة recua (قافلة الدواب التى تحمل عليها أثقال التجار وبضائعهم) ؛ الحمال alhamel .

فى مجال سك النقود والأوزان والمكاييل والمقاييس :

سكة ceca (دار ضرب النقود) ؛ مرابطى maravedi (عملة كانت من ضرب أمراء المرابطين) ؛ قنطار quintal ؛ الربع arroba ؛ الثمن azumbre ؛ الرطل arrelde ؛ مثقال m tical ؛ الدرهم adarme ؛ فرسخ parasanga ؛ فنيق fanega ؛ المد almud ؛ قفيز cahiz الخرج alforja .

فى مجال النظم والوظائف والحرف :

القاضى alcalde (ويطلق الآن على عمدة المدينة أو المحافظ) ؛ القائد alcaide ؛ المقدم almocadén ؛ المحتسب almotacén المشرف almojarife ؛ الوزير alguacil صاحب المدينة zabalmedince ، صاحب الشرطة zabaxorta ، صاحب السوق zabazoque ، صاحب السكة zabaceca الأمين alamin ، العريف alarife ، الفخار alfarero ، الحمال albonil ، الحجام alfagcme ، الخياط alfayate ، البيطار albeitar

فى العمارة والبناء :

القصر alcazar ، القصبة alcazaba ، الزقيقة azoqueca ، الدرب adarve ، الرباط rebato ، الرابطة râbita ، râbida ، الحصن almazán ، (البرج) البرانى albarrana (torre) ، البناء albañil ، الزليج azuleja ، اسطوان zaguán ، القبة alcoba ، مقربصات mocarabes ، التوريق ataurique ، الطوب adobe ، الشماس ajimez (أى المشربية) ، الفخار alfar

فى الأثاث والأدوات :

الشوار ajuar ، الخمرة alfombra (أى البساط) ، المخدة almohada ، اللحاف alifafe ، السطل acetre ، البرادة albarrada ، الغرافة algarrafa ، الكوز alcuza ، المهراس almirez ، السفط azafate ، الطبق atabaque

فى الطعام والشراب :

الرز arroz ، السكر azúcar ، الرب arrope ، المُجَبَّنة almojabana ، الحشو aluju ، الحاجور alfajor (نوع من الحلوى) ، البورانية alboronia ، السكباج escabeche ، الفانيذ alfeñique ، البندقة albondiga

فى الموسيقى والغناء :

الدف adufe ، البوق albogue ، الطنبور atambor ، الطبل atabal ، التفير añafil ، العود laûd ، الشبابة xabeba ، زمرة zambra ، رباب rabel ، الله (صيحة الإعجاب) olé

فى الألوان :

اللازورد azul ، النيل añil ، القرمزى carmesi ، المغرة almagre ، الخلوقى aloque ، الزاج (الزرقة الداكنة) aceche ، الزيتونى aceituni ،

فى الملابس :

الجبة aljuba ، السراويل zaragüelles ، السباط zapato ، الكساء alquicel ، البرنس albornoz ، البلغة alpargata ، كوفية cofia

فى العطور والأفادية :

المسك almizcle ، الغالية algalia ، الكافور alcanfor ، المصطكى almáciga ،

فى الطيور والحيوانات والحشرات :

الذيب adive ، رأس (الماشية) res ، ثور toro ، الزاملة acémila ، (خنزير) جبلى jabali ، صقر sacre ، القطامى alcotán ، لبلى nebli (نوع من الصقور ينسب إلى منطقة لبلة فى الجنوب الغربى للاندلس) الغطاس alcatraz ، الكروان alcaraván ، العقرب alcacrán ، زرزور zorzal

فى ألعاب التسلية والصيد :

الشطرنج ajedrez ، الزهر azar ، شبكة jabega ، المزربة almadraba ، مسخرة máscara ، مهرج moharrache ، mamarracho

ملاحظات حول الألفاظ الأسبانية ذات الأصل العربى

١ ــ من الناحية الصوتية :

الحروف الحلقية : وأولها العين والحاء وكانتا تمثلان صعوبة كبيرة بالنسبة للمتكلمين باللغة الإسبانية كما هو الشأن لدى سائر الأوربيين . ومن النادر أن ينطقهما أجنبى عن اللغة بصورة صحيحة كما يقرر الدكتور بشر فى كتابه « علم الأصوات » . وقد سجل العالم الأندلسى الكبير ابن حزم القرطبى ذلك من قبل فى كتابه «الإحكام فى أصول الأحكام» (١ / ٣١ ــ ٣٢) إذ قال : « « وإذا تعرب الحليق أبدل من العين والحاء هاء فيقول مهمداً أراد أن يقول محمداً » . ويكرر بدرو القلعى هذه الملاحظة إذ يقول إن العين صوت يصعب نطقه جداً على غير العرب ، هذا وإن كان يشير إلى قربه من الغين . وهذا هو ما يفسر اختفاء العين من الغالبية العظمى من الألفاظ الإسبانية المأخوذة من ألفاظ عربية توجد فيها العين .

فمن الألفاظ التى تبدأ بالعين :

عرق السوس orozuz	
العرض alarde	
العقرب alcacrán	
العود laúd	

ومن التى توجد العين فى وسطها :

الزعفران azafràn

القليعة alcolea

مستعرب mozarabe

ومن التى توجد العين فى آخرها :

الترصيع ataracea ؛ الرُّبْع arroba ؛ القناع (خمار المرأة) alquinal

مشمع mojama (قديد من لحم الأتون أى التونة)

أما الخاء فانها تحولت إلى هاء (تصديقا لما ذكره ابن حزم) ولكن الهاء فى تطور صوتى للغة الإسبانية أصبحت الآن تكتب ولاتنطق .

ونرى أمثلة لها فيما يلى :

فى بداية الكلمة : الحركة alharaca ، حرة horra (المرأة الشريفة أو غير الأمة) الحاجة alhaja ، حتى hasta ، الحمة alhama ، الحنا alheña

وأحيانا تحولت إلى كاف كما نرى فى حراقة carraca (سفينة كبيرة للنقل وقد تستخدم فى الحرب) .

فى الوسط : كحل alcohol ، طاحونة atahona ، الملحفة almalafa سُطَيْحَة azotea ، اللحاف alifafa الريحان àrrayàn

فى النهاية : قلعة رياح Calatrava

الخـــاء :

كثيرون ممن يستمعون إلى اللغة الإسبانية اليوم فيجدون حرف الخاء يتردد فيها بكثرة وهو حرف يصعب نطقه على كثير من الأوربيين (إذ لا يكاد يوجد إلا فى الألمانية واليونانية والروسية) يعتقدون أنه دخل إلى هذه اللغة بفضل العربية ، غير أن ذلك عار تماما عن الصحة . فقـــد كان من المفارقات الغريبة أن اللغة القشتالية وماكان يضطرب حولها فى شبه الجزيرة من اللهجات الإسبانية مع اقتراضها لكثير من الألفاظ العربية لم تستطع أبداً أن تستوعب حرف الخاء وتنطق به طوال معايشتها للعربية على مدى قرون طوال . فظلت اللغة القشتالية أو الإسبانية ولهجاتها المختلفة مستعصية على الخاء حتى القرن السادس عشر حينما ولى عرش إسبانيا الأمبراطور الألمانى الأصل كارلوس الخامس (شارلكان) بالنسبة لألمانيا وهو الأول بالنسبة لإسبانيا (وقد امتد حكمه بين سنتى ١٥١٧ و ١٥٥٨) وفى ظله اتسعت الأمبراطورية الإسبانية حتى أصبحت أقوى دول أوربا وأوسعها رقعة ، وفى عهده انتقل عدد كبير من الألمان إلى إسبانيا وكان هو نفسه لايحسن الكلام بالإسبانية بل كان يرتضخ فيها لكنة جرمانية . ومن هنا تسرب إلى لغة اسبانيا صوت الخاء فأصبح ينطق به حرف الـ j حيثما ورد وحرف الـ g أيضا إذا تلاها أحـــد الحرفين اللينين :

الـ i أو الـ e أما الألفاظ العربية التى اشتملت على الخـــاء — وكانت قـــد دخلت اللغة الإسبانية قبل ذلك التاريخ — فإنها استبدلت بالخاء صوتا آخر كما نرى فى هذه الأمثلة

فى بداية الكلمة : خص choza (أى كوخ)، خليفة califa، الخرج alforja (ونلاحظ فى هذه الكلمة أن الخاء قـــد تحولت إلى هاء h ثم إلى فاء f (وكان هناك فى الاسبانيـــة خلط بين الهاء والفاء وهى ظاهرة لانرى الآن موضعاً لشرحها). أما الجيم فقد كانت تنطق قريبة من الجيم المعطشة مثل الجيم الشامية أى چ وهى الحرف المقابل للـ j ومع التحول الذى أشرنا إليه فى نطق هذا الحرف منذ القرن السادس عشر تحولت إلى خاء) .

الخرشوف alcarchofa

الخروب algarroba

وحينما تأتى الخاء فى وسط الكلمة تفقد أيضا خاصيتها الصوتية العربية وتتحول إلى هاء لا تنطق مثل سخينة (نوع من الحساء الذى يضاف إليه الدقيق) zahinas

وتتحول الخاء أحيانا إلى كاف فى آخر الكلمة مثل إسفيناخ espinaca وشيخ jeque

الضـــاد :

حينما تأتى الضاد فى أول الكلمة تتحول إلى دال مثل daifa ضيفة . ولو أن معناها تحول إلى دلالة سيئة إذهى بمعنى الخليلة ؛ الضفيرة adefera (ولكن ليست بمعنى ضفيرة الشعر ، وإنما أصبحت تدل على الزخارف المضفرة التى تستخدم فيها بلاطات الزليج الملونة (أى القيشانى) بشكل مخصوص) ؛ الضبة aldaba وهى تدل على كتلة من الحديد أو الخشب تعلق على الباب لكى يستخدمها الطارق ؛

الضيعة aldea

ويلاحظ فى هذين اللفظين أن الضاد قد سبقتها لام مما يدل على أن نطق الضاد كان شبيها بنطق اللام (كما شرح ذلك الدكتور كمال بشر فى كتابه عن الأصوات) .

وإذا أتت الضاد فى وسط الكلمة فقد تحول إلى دال أيضا كما ترى فى الغيضة algaida (بمعنى الغابة) ؛ روضة rauda وتستخدم بمعنى المقبرة

أما فى آخر الكلمة فإنها تأتى غالباً مسبوقة باللام المفخمة مثل

القاضى alcalde ؛ البيضا albalda

البياض albayalde ؛ الربض arrabalde

وفى هذه الكلمة الأخيرة اختصرت الكلمة فحذف المقطع الأخير فأصبحت arrabal

أى أن الضاد تحولت إلى لام فقط .

وظاهرة إضافة اللام إلى الضاد تظاهر أيضا فى الكلمات التى تشتمل على الطاء ، كما نرى فى لفظ الطبق altabaque أى الصحفة الكبيرة ولكنها لاتضاف إلى الضاد إذا سبقها حرف الراء مثل العرض alarde (وتطلق على الاستعراض العسكرى أو ما يشبه ذلك مجازاً) .

التغيرات الدلاليـة :

تتعرض الألفاظ خلال سيرة اللغة إلى تغيرات دلالية فقد تتجه الدلالة إلى الإ تساع أو إلى الضيق ، وقد تتخذ دلالات أسمى مما كانت عليه فى الأصل ، وقد يحدث عكس ذلك فتتخذ اتجاها متدنيا (أو ما يسمى باللغات الأوربية degradation) فنحن نرى مثلا لفظ الحاجة alhaja الذى كان يدل على أى شيء يحتاج إليه ثم تحول فى الإسبانية الحالية إلى التحفة القيمة أو الحلية الفاخرة :

على حين نجد لفظ الوزير alguacil الذى كان يدل على هذا المنصب الكبير قد أصبح فى الإسبانية الحالية يدل على وظيفة متواضعة تعادل دلالة فرّاش (ويمكن المقارنة بين هذا اللفظ ولفظ « الحاجب » العربى) على أن هذا التطور على ما يبدو كان قديما أيام حكم المسلمين للأندلس فإن منصب الوزير كان قد تدنى منذ سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس فى أوائل القرن الخامس الهجرى وقيام دول الطوائف حتى إن أحد الشعراء خاطب وزيراً من وزراء ذلك الزمن بقوله :

هبك كما تدعى وزيرا
وزير من أنت يا وزير
والله ما للأمير معنى
فكيف من وزّر الأمير

والأمثلة على هذه التغيرات الدلالية كثيرة ويسميها بعض اللغويين الشف Calco :

وهناك لون من التأثيرات العربية التى نصطلح على تسميتها بالخفية أو المستترة وتعنى بها ما ترجمته اللغة الأسبانية ترجمة واضحة عن العربية ونضرب عليها أمثلة من بعض الألفاظ والتعابير التى لا نجد لها مثيلا فى اللغات الأوربية الأخرى :

تستخدم الاسبانية تعبير tomaron en hablar أى أخذوا فى الحديث وهو ترجمة حرفيه عن العربية :

وكذلك « رجل ذو حياء un hombre de vergüenza وذلك فى مقام المديح، ولو قيل مقابله فى الانجليزية أو الإيطالية أو الفرنسية Un uomo di vergogna لكان أشبه بالذم : un homme de honté

ومنه de buena sombra (خفيف الظل) وعكسه de mala sombra (ثقيل الظل) .

وهناك ظواهر نحوية يبدو فيها تأثر الأسبانية بالنسق النحوى المتبع فى العربية فكثيراً ما نجد الجملة الأسبانية تبدأ بالفعل قبل الفاعل وهى ظاهرة لا نجدها فى اللغات الأوربية الأخرى

وهناك صيغ مسكوكة تبدو منقولة عن العربية :

كالحمار يحمل أسفاراً
como un asno cargado de libros

وهو ترجمة للتعبير القرآنى وقد صيغ من قبل شعراً فى بيت كان العالم القرطبى الطبنى يتمثل به وهو :

زوامل للأشـــعار لاعلم عندهم
بما حمـــلوا إلا كعـــلم الأباعر

أومظلم كجوف الحمار oscuro como boca de asno وهو تعبيرا استخدامه سيرفانتيس فى رواية دون كيخوتى : ويبدو منقولا عن البيت المنسوب لامرئ القيس :

وواد كجوف العير قفر قطعته
به الذئب يعوى كالخليع المعيّل

وبعد فهذا ليس إلا قليلا من كثير ممّا تدين به اللغة الأسبانية للغة العربية وعلينا أن نذكر أن الأسبانية كما كانت معبراً للثقافة العربية إلى أوربا فقد كانت معبراً لكثير من هذه الرواسب العربية إلى اللغة المتكلمة فى العالم الجديد عالم أمريكا اللاتينية . ومع اللغة حملت الأسبانية كثيراً من التأثيرات العربية فى الفكر وفى الأدب وفى الفن .

هى صفحة مشرقة من تاريخنا اللغوى والثقافى الذى ما زال بحاجة إلى تجلية وبيان وهو عمل يتطلب تكاتف أجيال من الباحثين.

د. محمود مكى
مفـــو المجمع